Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط ق 1 – 9 هـ /7 – 15 م

امحمد الحسوني الحشاني
قسم التاريخ كلية التربية - ابو عيسى جامعة الزاوية
a.alhashani@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0003-3257-4965

Agriculture in Libya during the Middle Ages
st-9th centuries AH / 7th-15th centuries AD1

EMhammad al-Hassouni al-Hashani
Department of History, Faculty of Education - Abu Issa, University of Zawiya

تاريخ الاستلام:2026/05/30 –تاريخ المراجعة:2026/06/18– تاريخ القبول: 2026/06/28– تاريخ للنشر : 2026 /07/25

الملخص

يستعرض الباحث في عمله البحثي الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط، ق 1 – 9 هـ / 7 – 15 م، من خلال اثر العوامل الجغرافية في تحديد نوع الزراعات التي تتنسب مع بئتها، كاثر المتآخ من حيث كثرة الامطار وقلتها، فضلا عن تباين التضاريس كتوفر السهول الخصبة الصالحة للزراعة،

كما نبحث في ملكية الاراضي الزراعية من حيث ملكيتها للدولة وفق ضريبة الخراج التي يدفعه الفلاحون سنويا، واراضي الوقف وكيفية الاستثمار الزراعي فيها، إضافة الى الملكية الخاصة حيث امتلك بعض الافراد قطع ارض صغيرة عبارة عن اجنة وبساتين، فضلا عن الأراضي المشاعة الشاسعة التي تعود ملكيتها للقبائل كأراضي هوارة في شرق طرابلس .

أيضا بحثنا في أنواع التربة المتوفرة كالتربة الطينية الحمراء في برقة ومدى صلاحيتها للزراعة اضف اليها التربة السوداء الخصبة للمحاصيل الزراعية، فضلا عن التربة البيضاء.

اما سقي الزراعة فيتم عبر الابار الجوفية عن طريق الدلو، والعيون، بإقامة السدود والجوابي لحجز المياه الصالحة للزراعة.

كما نبحث أدوات الزراعة المستخدمة في ليبيا خلال العصر الوسيط كاستخدام الحيوانات والمحاريث لتقليب الأرض، والمناجل للحصاد الشعير،

وفيما يخص المحاصيل الزراعية فبحثنا في أهمها فكان أولهما محصولي الشعير والقمح وأماكن تركزهما، ثم أشجار الزيتون واهمية استخراج زيته، ثم التمور، يليها محاصيل الفواكه والخضروات.

Abstract

This research examines agriculture in Libya during the medieval period (1st–9th centuries AH / 7th–15th centuries CE), focusing on the influence of geographical factors—such as climate (rainfall patterns) and topography (the availability of fertile plains)—in determining the types of crops suited to the environment. The study also investigates agricultural land tenure, covering state-owned lands subject to the kharaj* tax paid annually by farmers, *waqf* (endowment) lands and their* agricultural utilization, and private ownership—where individuals held small plots such as gardens and orchards. Additionally, it addresses vast communal lands owned by tribes, such as the lands of the Hawwara tribe east of Tripoli We also examined the types of soil available—such as the red clay soil found in Barqa and its suitability for agriculture, the fertile black soil used for crops, and white soil.

Irrigation was carried out using groundwater wells (via buckets) and natural springs, as well as by constructing dams and reservoirs to capture water suitable for farming.

We also investigated the agricultural tools used in Libya during the medieval period, such as the use of animals and plows to till the land, and sickles for harvesting barley.

Regarding agricultural crops, we focused on the most significant ones: primarily

barley and wheat—along with their main cultivation areas—followed by olive trees and the importance of oil extraction, date palms, and finally, various fruits and vegetable..

المقدمة

تُعد الزراعة في العصر الوسيط الركيزة الأساسية التي قامت عليها المجتمعات المحلية في ليبيا لتأمين الغذاء والبقاء. وقد طورت هذه المجتمعات أنظمة زراعية متكيفة مع بيئتها لضـــمان اســـتمراريتها في ظل تعاقب الدول والإمارات.

ففي السهول الخصبة (مثل سهل الجفارة، الجبل الأخضر، وسهل طرابلس)، تنوعت أساليب استثمار الأرض: **الزراعة البعلية :**الاعتماد الكلي على مياه الأمطار الشـتوية لزراعة المحاصـيل الاسـتراتيجية كالقمح والشـعير. **المدرجات الزراعية :**شُـــيدت في المناطق الجبلية لمنع انجراف التربة والاســـتفادة القصـــوى من مياه الأمطار وتجميعها.

بالإضـافة للحبوب، زُرعت أشـجار الزيتون، الكروم، والحمضـيات التي شكلت عصـب التجارة المحلية والدولية في ذلك الوقت.

اعتمدت ليبيا في عمق الصـــحراء (مثل مناطق فزان، غدامس، والكفرة) على نظام الواحات كنظام بيئي متكامل: **نظام الأفلاج (الخطارات :(**قنوات مياه جوفية تحت الأرض شُيدت لجلب المياه من أعماق الصـحراء إلى الواحات، مما أتاح زراعة النخيل وبعض الحبوب دون هدر المياه بالتبخر.

ابتكرت المجتمعات قواعد صارمة وعادلة لتوزيع حصص المياه بين المزارعين (مثل نظام "القيراط" أو التوقيت بالسـاعات.(**التخزين الاسـتراتيجي :**بُنيت "المطمورات" (حفر تخزين تحت الأرض) لحفظ الحبوب لسـنوات طويلة، مما أمن المجتمعات ضد سنوات الجفاف والمجاعات في فترات عدم الاستقرار السياسي.

لقد مثّل هذا التكامل الزراعي بين الواحات والســهول عصــب الاقتصــاد المحلي، ومنح المجتمعات اســتقلاليتها النسبية عن السلطة المركزية للدول المتعاقبة.

اشكالية البحث

يناقش البحث كيفية الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط من خلال:

هل للعوامل الجغرافية اثر على الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط؟

وما نوع الملكية الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط؟

وما هي مصادر سقيا الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط ووسائله؟

وما الادوات الزراعية المتوفرة في ليبيا خلال العصر الوسيط، ومدى الاستفادة منها قي الزراعة؟

ما هي أنواع التربة الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط، وايهما كانت الأفضل للزراعة؟

ما هي المنتجات الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط، وما مدى حجم انتاجها الزراعي، توزيعها الجغرافي؟

أهداف البحث

التعرف على أنواع النشـاط الزراعي .ومعرفة مدى إمكانيات المزارعين الاقتصـادية ومدى توفير مسـتلزمات الإنتاج الزراعي لليبيا خلال العصـــر الوســـيط، والاطلاع على أهم المشـــاكل التي كانت تقف في مواجهة الزراعة بليبيا انداك، ومحاولة وضع مقترحات وتوصيات للحد منها.

أهمية البحث

تتمثل الأهمية العلمية النظرية في محاولة إضافة دراسة تاريخية في مجال التخصص في التاريخ الوسيط خاصة وأن الدارسات في هذا المجال قليلة ونادرة في المكتبة ليس على مستوى منطقة الد ا رسة فحسب بل على مستوى منطقة العالم العربي، بحيث يضاف للمكتبة مرجع يعتمد على دراسة وصقية وتحليلية وتكمن الأهمية النظرية بتلاقي النقص الحاصل لنشاط الزراعي بمنطقة البحث بما يتطلب البحث والدراسة على كافة الأصعدة والتخصصات.

.منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لاستنطاق النصوص التاريخية المتعلقة بموضوع البحث، من خلال الجزئيات البحثية الاتية:

اولًا: العامل الجغرافي واثره على الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط.

أسهم أهل ليبيا في الزراعة بنصيب وافر، وأنّ كانت هذه الزراعة قد تأثرت كما يرى ابن خلدون: بالبيئة الجغرافية وما تشمل عليه من عوامل مناخية وسطحية وموارد طبيعية إلى اختلاف الناس في تحصيل معاشهم، فمنهم من يستعمل الفلاحة من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل نتاجها، واستخراج فضلاته. [1]

لقد اثر توزيع الموارد الطبيعية، وأهمها المياه في تحديد مناطق الزراعة والاستقرار في المغرب، فكان للتوزيع غير المنتظم للمياه أكبر الأثر في وجود توزيع غير منتظم للسكان، فنجد أنّ المنطقة الساحلية على البحر المتوسط من برقة حتى الأطلسي، حظيت بتجمعات سكانية ساعدتها الظروف الطبيعية من أرض خصبة وماء ومناخ معتدل على قيام زراعة ناجحة، وبخاصة في أحواز المدن الكبرى ببلاد المغرب العربي. [2]

يُعد المناخ الصحراوي الجاف وشح المياه التحدي الجغرافي الأكبر للزراعة في ليبيا .يتركز الإنتاج الزراعي في النطاق الشمالي بفضل الأمطار والمياه الجوفية، بينما أدت ندرة الموارد المائية والتصحر في الجنوب إلى الاعتماد الكثيف على المجهود الفردي لضمان الأمن الغذائي..[3]

تؤثر العوامل الجغرافية في القطاع الزراعي الليبي عبر عدة محددات رئيسية:

الإقليم الشمالي (المتوسطي) :(يتميز بمناخ معتدل وأمطار شتوية تسمح بالزراعة البعلية (المعتمدة على المطر) مثل زراعة الحبوب (القمح والشعير)، وأشجار الزيتون، واللوز، والحمضيات في مناطق الجبل الأخضر وسهل الجفارة.

- **الإقليم الجنوبي (الصحراوي) :**(يسوده الجفاف وارتفاع درجات الحرارة، مما يحصر الزراعة في الواحات (مثل غدامس والكفرة وسبها) ويعتمد على "الزراعة السقوية" أي باليد لإنتاج التمور والخضروات.
- **شح الأمطار والتغير المناخي :**تقع ليبيا في نطاق الجفاف العالمي، وتتذبذب كميات الأمطار السنوية، مما يؤثر سلباً على إنتاجية المحاصيل ويزيد من مخاطر الجفاف والتصحر .
- **المياه الجوفية :**تُعد المصدر الأساسي للري، خاصة في السهول الساحلية حيث أقيمت السدود لحجز المياه الصالحة للزراعة الدائمة لاستقرار الانسان مثل: سد وادي كعام بالخمس، وسد وادي الكوف بجبال برقة.[4]
- **التباين التضاريسي :**تتركز الأراضي الخصبة والقابلة للزراعة في الساحل والسهول والهضاب (مثل الجبل الأخضر والجبل الغربي). بينما تحد الكثبان الرملية والمناطق الوعرة من مساحات الرقعة الزراعية في باقي المناطق.

- **نوعية التربة :**تختلف جودة التربة، حيث تتواجد التربة الطميية الخصبة في السهول الساحلية وأودية المناطق الداخلية، في حين تغلب التربة الرملية الفقيرة على مساحات شاسعة وتتطلب جهوداً لتحسين خواصها.
- **الامتداد الساحلي :**مكّن الموقع الجغرافي لليبيا المطل على البحر المتوسط من سهولة الوصول إلى الأسواق الأوروبية لتصدير الفائض من المحاصيل (مثل زيت الزيتون والتمور.
- **المساحة الشاسعة :**أدى اتساع المسافة بين مناطق الإنتاج الزراعي (في الواحات والجنوب) ومراكز الاستهلاك (المدن الكبرى في الشمال) إلى فرض تحديات تتعلق بطرق النقل وتكاليف التبريد والتوزيع. [5].

وفي هذا السياق، اختلف تأثير العوامل الجغرافية. لاختلاف طبيعة أقاليم ليبيا خلال العصر الوسيط، وانتشار الناس في كل هذه الأقاليم، ومنها: الموقع الجغرافي المتميز، والمتمثل في المناخ المعتدل، وموارد المياه، ووجود بعض الأراضي الزراعية الخصبة والرعوية معا، في السهول الساحلية، والمرتفعات الجبلية، والواحات. [6] ووقوعها على طرق التجارة والنقل خلال العصر الوسيط، ربما بما تحتويه من سواحل بحريه، وما تمتعت به من ثروة حيوانية كبيرة، كان لها أبلغ الأثر في نموها الاقتصادي والعمراني على مر العصور سواء قبل الفتح العربي أو بعده.

عرفت ليبيا، بين دول العالم منذ آلاف السنين بخصوبة تربتها، وجودة محاصيلها الزراعية المتنوعة الأصناف: كالحبوب وأشجار الفاكهة والنباتات الطبية، إلى جانب ما كانت تقوم من تربية للحيوانات كالأغنام والخيول والأبقار.[7] مما دفع بالفينيقيين في القرن السابع ق. م، إلى احتلال ساحل منطقة طرابلس، وفي نفس الوقت، فعل الإغريق الشيء ذاته باحتلالهم ساحل منطقة برقة، وعندما أصبحت ليبيا، جزء من الإمبراطورية الرومانية كانت المنطقة الزراعية المهمة في جنوب البحر المتوسط. [8]

إذا كنا نفتقد إلى معلومات دقيقة حول الزراعة، يمكنا التأكيد على الأقل أنها ظلت العمود الفقري للحياة الاقتصادية، فظلت منطقة السهول الشمالية مخصصة دائماً لزراعة الحبوب وزراعة البقول مجتمعة مع تربية الماشية، وساهم سهل الحفارة وبعض مناطق ليبيا في نفس هذا النشاط الزراعي أيضا، وفي هذا السياق يوضح لنا مقطع من ابن عبد الحكم.[9] حالة الثراء التي كانت عليها برقة وطرابلس في الزمن الملحمي بداية العصر الوسيط، ويشير هذا المقطع بدون شك، وخاصة– بسبب تاريخ تدونه– إلى أهمية إنتاج الزيتون والزيت.

فلا غرو إذن، أنّ يكون سكان ليبيا، مثل بقية سكان بلاد المغرب، ممارسين منذ القدم لأعمال الزراعة المتنوعة التي تضمنتها كتب الفلاحة، من حرث وبذر وتسميد وري وحصاد، وعنوا باستصلاح الأراضي التي لا تصلح إلا بالتقليب والتزبيل، كما عرفوا أي أنواع الزراعة يوافق أي نوع من التربة، وما يسقى من الزرع بمياه الأمطار، أو الأنهار، أو العيون، أو الآبار، كما عرفوا الوقت المناسب لكل نوع من الزراعة.[10]

وإذا كان الاهتمام بالزراعة كما يشير أحد الدارسين. [11] باعتبارها إحدى دعامات الحياة الاقتصادية لأي مدينة، فإنّ الزراعة قد اكتسبت هنا أهمية أخرى، باعتبارها مصدرا هاما للغذاء تتيح للسكان الحصول على ما يكفيهم منه، وذلك بما يرغبهم في التوطن والاستقرار، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من مصدر معقول للرزق والعيش.

ثانيا: ملكية الأراضي الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط.

شـهدت ليبيا في العصـر الوسـيط (ابتداءً من الفتح الإسـلامي وحتى العهد العثماني) تنوعاً في ملكية الأراضـي الزراعية، حيث خضـعت لأنظمة إدارية وشـرعية متغيرة .وتنوعت أشـكال الملكية بشـكل أسـاسـي بين أراضـي الدولة (الأميرية)، وأراضـي الأوقاف، والملكيات الخاصـة أو القبلية، ونظام الإقطاعات، والتي عكسـت جميعها طبيعة الأنظمة الحاكمة المتعاقبة في المنطقة.

تتمثل أبرز أنماط ملكية الأراضي الزراعية في ليبيا خلال تلك الحقبة في التالي:

- **أراضـي الدولـة (الأراضـي الأمـيريـة / الـخـراجـيـة:(** شكلت النمط الأوسع انتشاراً في البلاد، وهي الأراضي التي فُتحت صلحاً أو عنوة وظلت ملكيتها لبيت المال، وتُركت في أيدي أهلها الأصليين لزراعتها مقابل دفع ضريبة "الخراج ." [12]
- **أراضي الإقطاع (الإقطاعات العسكرية:** (توسع استخدام نظام الإقطاع في العصور الإسلامية المختلفة. حيث قام الولاة والحكام بإقطاع مسـاحات من الأراضـي لقادة الجيش وكبار رجال الدولة—خاصـة في عهد الدول المسـتقلة—مقابل تقديم خدمات عسـكرية أو مالية. وكان الفلاحون يعملون فيها كأجراء أو مستأجرين.
- **الملكية الخاصـة (أراضـي الملك:** (تمثلت في الأراضـي المملوكة للأفراد بشكل حر (كالبسـاتين والمزارع المحيطة بالمدن والواحات)، والتي كان يحق لأصحابها التصرف فيها بالبيع أو الشراء أو الهبة، شريطة خضوعها للتشريعات الإسلامية..[13]
- **أراضـي الوقف :** أوقفت مسـاحات زراعية واسـعة—خاصـة أشـجار النخيل والزيتون—لصـالح المسـاجد والمدارس والفقراء والإنفاق العام، وكانت تشـرف عليها هيئات خاصـة بالأوقاف لضـمان اسـتمرار إنتاجها.[14]
- **الأراضـي القبلية (أراضـي العشـائر :** (سـادت هذه الملكية في المناطق الداخلية والنائية مثل فزان والمناطق الرعوية، حيث كانت الأرض تخضـع لملكية القبيلة أو العشـيرة بأكملها، وتُوزع منافعها على أفرادها للرعي والزراعة الموسمية.[15]

يُعد "الخراج" و"العشر" هما الركيزتان الأساسيتان في تنظيم حيازة واستثمار الأراضـي. ومع تعاقب الدول المستقلة مثل الأغالبة والفاطميين والزيويين، خضعت الأراضي لقوانين تنظيمية دقيقة.

هنا الوضـع القانوني للأرض يطرح على المؤرخ مشاكل دقيقه، فيبدو أنّ ذلك كان أحد أسـباب اختلاف الفقهاء حول فتح أرض المغرب هل هي صـلحاً أم عنوة أم مختلطة، إلا أنّ الأمر اسـتقر بينهم على أنها لمن وجدت بيده وأنّ كان لا يعرف بأي وجه صـارت إليه، فمن كان مالكا أحتفظ بما ملك في مقابل دفع الضـريبة الشرعية.(ولم تختلف هذه الضريبة في أقاليم المغرب، (ليبيا) عن مشيلتها في بقية أقاليم المشرق.[16]

رأى أحد الدارسـين.[17] وجود علاقة وثيقة بين هذه المفاهيم وملكية الأراضـي الزراعية في بلاد المغرب خلال القرون الأولى، وبالتالي نتصور استمرارها أيضـاً، في ليبيا خلال العصر الوسيط، فقد أشار اليعقوبى إلى أنّ خراج برقة قانون قائم، حيث وجه هارون الرشيد بمولى له يقال بشار، فوزع خراج الأراضـي، على كل ضـيعة شيء معلوم عدا الأعشار والصدقات والجوالي. [18]

ولعل اصـطلاح اسـلم عليها أهلها، كان يشـتمل حسـب بعض الدارسـين [19] على أراض العشـر وليس الجزية أو الخراج، بدليل أنّ أراضـي المسـلمين ببرقه وزويلة كانت يؤخذ منها العشـر، أما أهل الصـلح فكان يؤخذ منها نصف العشر، حسبما أورده البلاذري. [20] ففي تلك الفترة، تشير فتوى دينية إلى اغتصاب السلطان لنصف العشر المفروض على الثمار والشعير في فزان، (زويلة)، أحد أعمال برقة آنذاك، فقد قام أبو حاتم الملزوزي بجمع

هذا العشر من أموال أباضية إقليم طرابلس أثناء إمامته.[21] مما يعني أنّ أهم إشكالات الملكية الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط كانت تنحصر في الغالب في الأراضي العشرية والخراجية.

وعلى هذا من المحتمل أنّ يقوم ولاة ليبيا بتشجيع الزراعة إلى أقصى حدودها، وقد يكونوا قد قسموا الأراضي الزراعية إلى قطع التزام أصحابها بنظام الجباية الشرعي آنذاك، فكل ما يدخل من الزراعة لبيت خراجها هو العشر. . [22]

تبدو لنا صور الملكية الفردية لمساحات من الأراضي الصغيرة، أكثر وضوحا في جبل نفوسه في غرب ليبيا، حيث طبيعة الأراضي الجبلية الوعرة التي لا تسمح إلا بتملك قطع ضيقة جدا، عادة ما تكون محاذية للأودية، فيشير البغطوري إلى ملكية بعض الأفراد بعض الفدادين مع العمل فيها بالحرث والتقليب، أو البساتين التي امتلكها العديد من الأشخاص، وهو ما أكدته المصادر الأباضية [23] كما يشير الشماخي إلى امتلاك البعض للجنان المثمرة، ومنها:– جنان تين، كانت بحوزة شخص يتيم لم يذكر اسمه [24]

لكن ما نسبة هذه الملكيات الصغيرة والمتوسطة من المساحات الزراعية عامة في ليبيا خلال العصر الوسيط؟، ذلك ما نجهله تماما، أما عن انتشارها فمن المحتمل أنّ هذه الأصناف أنّ لم تكن منعدمة بالطبع في مناطق الداخل، فإنها كانت موجودة في منطقة الساحل، وفي السهول الساحلية، كالسهل الساحلي الواقع مابين طرابلس وقابس والقيروان. [25] فقد امتلك أفراد من نفوسة، وهوارة، أراضي زراعية في هذا الإقليم، بنص مكتوب من الامام عبد الوهاب بن رستم. [26] بعد نزوحهم من جبل نفوسه، بدايات العصر الوسيط.

والجدير بالتنويه أنّ ملاك الأراضي الزراعية من الفقهاء لم يتحرجوا من العمل في أراضيهم، بل باشروها بأنفسهم، فيذكر الشماخي، أنّ أبي مرداس مهاصر السدراتي كان يحرث على بقرة له.(وكذلك أبو الشعناء السنتوني كان يخرج إلى المرج يحرث، ثم يحصد أنّ طاب الزرع، ودرس وحمل الحب على جملة، ولابد أنّ غيرهم كثيرون كانوا يمتلكون أراضي يزرعونها بأيديهم ويعملون بها.(فقد أشار الشماخي، إلى أنّ بعضهم يظل يعمل في ربعه المملوك له إلى العشية، وهكذا في الغد، [27]

في بعض الحالات كانت مساحة الأراضي الزراعية تنقص ولا تزيد، نتيجة الودع أو المعاوضات أو اقتسام الأرض بالميراث، فيصل نصيب الفرد الواحد إلى حد ضئيل مما قد لا تنتج الأرض الحد الأدنى من الزكاة (العشر)، ونلاحظ ذلك من خلال ما قام به أحد رجال جبل نفوسة طرابلس، حينا باع فدانه إلى أبي مهاصر الافاطماني أحد الفقهاء في عام قحط [28] ومع ذلك فقد امتلك أفرادا آخرون مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، مثل:– صنوا أبى الخطاب، مما جعلهم يستخدمون العبيد في زراعتها، فلم يكن استخدامهم قاصرا على البيوت، بل كان أغلبهم من العاملين في البساتين والمزارع [29] فامتهن هؤلاء الملاك الصغار غراسة أشجار الزيتون والكرم والتين، وزراعة الحبوب في ليبيا خلال العصر الوسيط، فكانوا من أرقى طبقات الزراع ببلاد المغرب. [30]

أما(الملكية الجماعية) وهذا النوع من الملكية، قد فرضته طبيعة الأرض في المنطقة الصحراوية بالذات، كما فرضته البيئة القبلية أيضا في اعتمادها على الرعي كدعامة أساسية لحياتها الاقتصادية.

وهذه الحرفة أي حرفة الرعي كانت تتطلب عدم وجود حواجز، كما هو الحال في الملكية الزراعية، ولهذا شاع وجود ملكيات شاسعة، وأكدا ذلك ابن حوقل، بقوله:(وهم يسيحون البلاد للمراعي والزروع والمياه لورود الإبل والماشية). [31]

وفي هذا السياق، تذكر المصادر أنّ أراضي لواته، في إقليم برقة، الغنية بزراعاتها الواسعة، وبكثرة مراعيها. [32] وأرضي هوّارة في المنطقة الوسطى من طرابلس باتجاه القبلة حتى جبل نفوسة، وفي شرقي مدينة

طرابلس أيضاً، حيث ترعى أغنامهم وإبلهم. [33] وأراضي زناته' غربي مدينة طرابلس، حيث يشتهر سهل الجفارة الممتد حتى جبل نفوسة بكثرة مراعيه. [34]

يبقى ذلك غير ثابت، فكثيراً ما تغيرت ملكيات هذه القبائل لتلك الأراضي تبعاً لمواقف أصحابها من الحكومات في تلك الفترة، لكننا لا تستبعد أنّ يدفع أصحابها العشر، إنّ كانت منتجة، كبقية أراضي القبائل في بلاد المغرب.

ثالثًا **السقي والزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط.**

اعتمدت الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط بشكل أساسي على مياه الأمطار في الشمال، ونظم الري الاصطناعي في الواحات. وشهدت تقنيات السقي حينها تطوراً ملحوظاً، حيث توسع الفلاحون في حفر الآبار الجوفية واستخدام "السواني" التي تعتمد على الحيوانات لرفع المياه، إلى جانب صيانة العيون وبناء "الفقارات" لتوفير المياه واستصلاح الأراضي.

اذن اعتمدت **ليبيا** في الزراعة على سقيا الأمطار، والآبار، لأنّ مصادر السقي فيها غير متساوية بالأقاليم، فهي تشمل منطقتين: منطقة تقع في الشمال، والمياه فيها وفيرة، حيث أنها تتمتع بمؤثرات البحر المتوسط، ومنطقة تقع في الجنوب، وتشتمل على الأراضي الجافة، حيث المناخ الصحراوي فتقل وتنعدم، لذلك تغزر الأمطار في شمال البلاد، حيث يمتد سهل الحفارة الزراعي، وكذلك السهل الزراعي في برقة، فبسبب الأمطار الغزيرة، سميت: المرج الواسع، لكثرة اخضرارها. [35]

كما تنمو الزراعة بفضل الارتفاع، التدريجي للجبال، وهنا يشير الشماخي إلى غزارة تلك الأمطار وقوتها في بعض الأحيان في جبل نفوسة، فتواتر الأمطار كما يقول، يؤدي إلى خصب البلاد، كما أنّ اشتدادها وقوتها أحيانا يؤدي إلى انزعاج الناس منها، فقد أشير إلى انزلاق الناس في الطين والوحل من جراء قوة المطر، حيث البرد الشديد في فصل الشتاء، والجفاف في فصل الصيف، لذلك اتبعوا أساليب تحفظ لهم هذا الماء لشربهم وزروعهم.[36]

كان لقلة الأنهار في ليبيا خلال العصر الوسيط سببا في عدم توفر الماء طوال العام، لذلك فالزراعة في ذلك الوقت كانت غير مأمونة، فإذا جاء زرعها عاما طيبا، تبقي أعواما لا يجيء فيها الزرع الطيب، مثل: فحص سوف الجين في شرقي مدينة طرابلس، يؤكد الجغرافيون العرب، أنه يصيب سنة في سنين.[37]

فقد كانت أغلب الزراعة في ليبيا، تعتمد على الأمطار، وبسبب ذلك من المحتمل أنّ يولي العرب الفاتحين اهتماماً كبيراً بطرق الري الرومانية القديمة، التي كانت تعتمد على مياه الأمطار، كالصهاريج والسدود التي في مجاري الأودية لحجز الماء والانتفاع بها صيفا، والآبار المحفورة في الأرض، والمواجل، والتي مازالت آثارها موجودة حتى الآن، ومن المؤكد أنها كانت تؤدي دوراً بارزاً في تطوير الزراعة منذ أقدم العصور على نطاق لم يسبق له مثيل، إذْ يتم حجز مياه الفيضان الغزيرة، وتمريرها إلى أحواض التخزين، وكان الطمئ الذي تجره المياه يجمع ويستغل كطبقة غنية فوق الحقول.[38] ومن أمثلة هذه السدود: سد وادي المجنيين، كان فيضان مياهه يؤدي إلى هلاك الحقول الزراعية في المنطقة منذ القدم وحتى العصر الحديث، وسد وادي لبدة، والسدود الأخرى، التي كانت تكون خزانات مائية في أجزاء وادي كعام السفلي، كما كان هناك سدان آخران بأحجام متشابهة مبنيان من الإسمنت في وادي المجنيين، وعلى بعد أربعة وخمسين كيلومتر جنوبي مدينة طرابلس. ومعظم السدود الباقية الكثيرة، والتي نجد آثارها في أودية طرابلس وبرقه كانت صغيرة، وكان الغرض منها الري وحماية التربة من الانجراف.[39]

فقد قامت على هذه الأودية الزراعات المختلفة في ليبيا العصر الوسيط، مثل:- وادي مخيل، وجوابي الماء، والبرك، لابد أنها لسقاية الناس والأشجار، ووادي مسوس، قيل أنّ عدد الجوابي نحو ثلاثمائة وستون جابية وبها بساتين، ومياه الأمطار النازلة من جبل برقة، عبر مجموعة من الأودية إلى برك كبيرة للشرب، حيث الأشجار والثمار في ذلك الجبل، مثل: نهر (وادي) درنة، ووادي الرمل، المعروف بكثرة غاباته وأحراشه.(شرقي مدينة طرابلس لمسافة عشرين ميلاً، أي نحو 80كم، شرق تاجوراء حالياً، ووادي شروس، وغيرها كثير.[40]

لابد أنّ أهل البلاد قد أقاموا السدود الصغيرة والأحواض لجمع المياه، وكذلك القناطر والجسور في بساتينهم لسقي محاصيلهم من مياه الإمطار، فقد أشار الدرجيني إلي: أنّ مهدي الويغوي، كانت له سدود كثيرة في أرضه قد خربت، ولم يتمكن من إعادة بنائها بمفرده، الأمر الذي جعله يتزوج بامرأة ساعدته في إصلاحها بنقل الثواب على رأسها إلى تلك الجسور في أرضه.[41] ويضيف الشماخي، أنّ البلاد قد أصابها قحط في سنة من السنين، فدعا أحد الشيوخ بأثمان ربه، فنزل المطر حتى فاضت جسور بستانه.[42] ولابد أنّ مزارعين آخرين قد فعلوا مثله لحفظ المياه واستخدامه في أراضيهم.

هذا وعلى الرغم من مبالغة الشماخي أثناء حديثه على عين اجناون، التي كانت تسقي حسب قوله نحو اثنتي عشرة ألف شجرة زيتون.[43] إلا أنّ ذلك يؤكد مدى أهمية مياه العيون في سقي المزروعات، لاسيما الأشجار المثمرة، ولابد أنّ عيون أخرى كانت قد ساهمت بدورها في وجود الزراعات المختلفة في السهول والجبال، فقد قال اليعقوبى عن جبال برقه:- (وفي هذين الجبلين، عيون جارية وأشجار وثمار).[44] ففي العصر الوسيط، أشير إلي أهمية مياه ورداسا بالنسبة للشرب والزراعة أيضاً يؤكد البعض أنها عبارة عن عيون ماء أقيمت عليها مجموعة من الآبار، في سبخة تاورغا الزراعية لغناها بالمياه الجوفية. من المحتمل أنّ تكون عين وردس التي ذكرها التيجاني.[45] لاقتراب رسمها من بعض من جهة، ثم لموقعها الجغرافي القريب أيضا، حيث تقع إلى الشرق من قصر خيار حالياً بنحو 50كم.

لابد أنّ أهل اجدابيه كانوا يسقون بساتين خضرهم، وزروعهم، ونخلهم، عن طريق الآبار المنقورة في الصخر، كما يقول البكري، فضلا عن عين ماء بها .[46] وكذلك أهل سرت يعتمدون في زراعة بساتينهم ونخلهم على آبار عذبة، عملوا لها الجباب الكثيرة، والمواجن أيضا لحيازة مياه الأمطار في فصل الشتاء، لسقاية مزارعهم في ريف المدينة، ومواشيهم .[47] بالإضافة إلى أهل صبرة – زناته وزواغة – شربهم من ماء المطر. يؤكد التيجاني ذلك بقوله:(وحصن تليل يُحيط به سواني ومزارع ليس بها شجر، اعتمادهم على ما يزرعون في السواني، ولهم آبار معينة). ومنها يستقي نخيلهم وتينهم وماشيتهم منذ زمن الفتوح. .[48]

أما عن وسائل السقي فقد تنوعت تبعاً لنوع مصادر المياه في بلاد المغرب، وقد عمل السكان على الاستفادة من مياه الأنهار والعيون وغيرها، في البسائط بوسائل متعددة، منها: شق الترع، وكانت أكثر وسائل الري انتشارا هي الروافع، مثل: السواقي (السواني)، والنواعير، والدواليب، والخطارات، فالساقية، والناعورة، والدولاب، أسماء لشيء واحد مع اختلاف يسير، وأهم الأشياء في الساقية الدالية التي تحركها، والفواديس التي تحمل الماء.[49] وقد أعتمد فلاحو ليبيا خلال العصر الوسيط، على السواقي في سقي حقولهم، المعتمد فيها في الحرث إنما هو على السواني (السواقي) التي يسنى على بئرها بالدلو)، وهو ما نجد له ذكر في إقليم طرابلس أيضا، حسب فتوى دينية أوردها لنا عمروس، فقال:(وما يسقي بالدوالي (م دالية) الدلو الصغير، وهو أنية متتابعة لها عارضة تجعلها تنصب في الحوض.[50] وكذلك التواضح والرشاء والسواني.

وتتميز الساقية، (ج- سواقي)، كما يبدو هنا ببساطتها وسهولة استخدامها فهي عبارة عن عمود خشبي طويل يتم تثبيته على هيئة رافعة، ويكون في أحد ذراعيه دلو، وفي الأخر ثقل، وكانت تستخدم في ري الحقول

الصـــغيرة، ويشـــير الشـــماخي إلى نفس هذا المعنى عند أهل طرابلس فيقول:(وفي هذا الجنان (بســـتان/ حقل)، انكسـرت عليه سـاقية يتيم) .[51] بمعنى أنها أداة مصـنوعة ربما من الخشـب فانكسـرت، ويؤكد في موضـع آخر انكسار ساقية أخرى للماء أيضا. الأمر الذي يعنى انتشار هذه الأداة في ري المزروعات.

أما الخطارة هي مثل السـاقية، كانت تسـتخدم في المغرب لرفع الماء من الآبار، يشـار إلى وجودها في واحات جرمه عاصمة فزان في بداية العصر الوسيط، التي يتم ريها بواسطة آلة تسمى:– أنجفت، في مخطوطات أخرى تسمى:– الخفة/ لنحته/ نحفه، والتي تسمى في المغرب خطارة، والخطارة في فزان كانت تعني البئر المجهز برقاص.[52]

كذلك ظهرت العناية بتنظيم الري والســقياه، وكانت تنظم الري في الغالب تجري على ما أثبتته الســنة، حسب المصدر الذي يأتي منه الماء، فإذا كان الماء ينحدر من الجبل ومن المطر ليس بمملوك، الأصل، فالشرع فيه أنّ يتم سقي الأعلى فإنّ فرغ من سقيه تركه للأسفل، بمعنى الأول فالأول، فإذا كان الأعلى يحضـي بأسبقية استغلال ماء الري، فإنّ لأسفل له كل الصـلاحيات في الانتفاع بنصـيبه منه، ومنع أي ضـرر يلحقه من الأعلى، فيشار إلى أنّ واحة غدامس في وسطها عين أزلية عليها أثار بنيان عجيب رومي، يفيض الماء بها، ويقسمه أهل البلدة بأقسـاط معلومة لا يقدر أحداً أنّ يأخذ أكثر من حقه وعليها يزرعون، بمعنى أنّ القسـط المحدد زمنيا هنا أو حسب وجود مراقب لسير الصـحيح لعملية الري، عرف باسم صـاحب المياه يختص بمباشرة كل الأمور المتعلقة بالمياه سواء مياه الشرب أو مياه سقي زراعي.[53]

كان نظام السقي في ليبيا خلال العصر الوسيط يقوم على ما يبدو على اتفاق ما بين الناس، كما جرت العادة أنّ يكون هناك عمل جماعي لخدمة الســـاقية التي تكون منفعتها للجميع، وتكون النفقة عليها من الجميع، وأحيانا كان يجتمع جماعة من الناس ويشـتركون على حفر السـاقية وتكون الفائدة بينهم بالتسـوية كل حسـب دوره .[54] لابد أنهم كانوا يشرفون بأنفسهم على إصلاحها وترميمها.

رابعا ادوات الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط.

اعتمدت الزراعة في ليبيا خلال العصـــر الوســـيط على مزيج من الأدوات التقليدية المتوارثة والمطورة. شملت هذه الأدوات :**المحراث الخشبي**)للحرث(، **المنجل**)لحصاد المحاصيل(، **الفأس**، و**المذراة**)لتذرية الحبوب)، بالإضافة إلى **الشادوف** وأنظمة **الري بـ "الخطارات "**في الواحات.

وقد اسـتخدم سـكان ليبيا خلال العصـر الوسـيط، بعض الأدوات الزراعية، مثل:– الفأس، واسـتخدم في تسميد الأرض، وأعدادها قبل بذر البذور، كذلك استخدم المحراث في شق الأرض أو في هرش الأرض دون تقليبها، وفي ذلك أشـار الشـماخي إلى وجود المحراث في إقليم طرابلس.(واسـتعملوا في الجرقوة الإنسـان أو الحيوان، مثل: الثور أو الحمار أو الجمل.[55] فقد كان أحد الفقهاء يجر محراثه على بقرة، حتى أعياه التعب.[56] ويتكون المحراث من قطع خاصـة من الخشـب مجمعة مع بعضـها البعض بأربطة (حبال)، ويوجد في بعضـها قطعة خشـب عمودية كالعمود واسعة من أعلاها تنتهي بوعاء لوضع الحبوب وبذرها في الأرض.[57]

كان المزارعون يستعملون المحراث البدائي، يسندون إليه من جهة حمارا حرونا ومن الجهة الأخرى امرأة، وكانوا يحرثون في موسـم الإمطار، وبعد البذر لا يعزقون الأرض ولا يسـتأصـلون منها الكلا، فلا يعودون إليها إلا ليحصـدوه بواسـطة المنجل.[58] (ج: مناجل)، أو القطف بأيديهم، على ما يبدو اسـتخدمت الحيوانات للدرس، وأحياناً لحمل الإنتاج، ولتخليص الحب من سـنابله اسـتخدم المزارعون نوعا من المهاريس، أما أنّ تصـنع من النحاس، أو تتخذ لوحة من الخشب مثبه فيها من الأسفل شظايا حادة أو أسنان من حديد.[59]

هذا ويرتبط بأدوات الزراعة هنا حفظ المحاصيل الزراعية في مخازن، تسمى، مطامير :(م مطمور)، خاصة القمح والشعير لإدخار بعضه، أما الجزء الآخر فتقوم بعض النساء بطحنه، وتحويله إلى دقيق.[60] بواسطة الرحى، وهي مطاحن مصنوعة من الحجارة، في الغالب، أما الفخار الذي أشير إلي وجوده في عدة مناطق، من إقليم طرابلس، قد يدل في بعض جوانبه على ممارسة الإنسان للعمل الزراعي في تلك الفترة، وأنّه يستعمل لغرض خزن الحبوب إلى غير ذلك من الأغراض الأخرى، وقد عثر على نماذج متعددة من الفخار، مثل:– السلطانيات والطاسات، والأقداح الخاصة بالسوائل والحساء' ، والأطباق المسطحة، كثيرا أو قليلا، والصحاف الكبيرة، والقفاق (م. قفة)، يوضع فيها إنتاج التين، والجفان، (م جفنة)، والكوانين للغرس.[62] والقلال.(م:– قله). والزقاق، (م:– زق). لحفظ الزيوت[63]

خامسا التربة الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط:

اتسمت التربة الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط بتنوعها الجغرافي وتباين خصوبتها، حيث اعتمدت الاقتصادات المحلية على استغلال "التربة الطينية والرسوبية" في الأودية والسهول، إلى جانب التربة الرملية في الواحات. واجهت هذه الأراضي تحديات قاسية بفعل تذبذب الأمطار وتقلبات المناخ.

لما لهذا العنصر من أهمية في الزراعة، فقد احتوت أراضي ليبيا خلال العصر الوسيط بعض أنواع من التربة الخصبة الصالحة للإنتاج الزراعي، ومنها التربة الحمراء والتي اشتهرت بها منطقة برقة بشهادة أغلب الجغرافيين العرب.[64] هذه التربة الخصبة المعروفة بكثرة طينها الذي يحفظ الماء لفترة أطول من غيرها، أُشير إلى وجودها في بعض المناطق من إقليم طرابلس أيضا. قال عنها علماء الفلاحة، أنها قوية في ذاتها، غليظة في قشرتها، لا يصبح فيها الزرع قوياً إلا بعد الخدمة بأنّ يقلب أعلاها أسفلها، وهذه التربة تقبل الماء ولا تمتصه مرة واحدة، كما لا تحتاج إلى الكثير من السماد الطبيعي، صالحة لكل أنواع الزراعة.[65]

بالإضافة إلى أنواع أخرى من التربة، كالتربة البيضاء في جبل نفوسه.[66] وفي سرت، حيث تتركز في الأحواض المائية، مكونة ما يعرف بالسباخ، كسبخة تاورغاء الزراعية.[67] ولكن هذه التربة لا تصلح للزراعة إلا بعد الخدمة المتواصلة مع خلط تربتها بالسماد الطبيعي مساو لها، كذلك التربة السوداء.[68] التي تتميز بجودتها وطيبها، يعلوها نزر ورطوبة، لأنها قليلة التشقق عند اشتداد الحر، إنما إذْ كثرت مياه الأمطار لم يكن زلق بها ولا تمليس، يبدو أنّها ليست صالحة لزراعة الكروم فقط.[69] بمعنى صالحة لزراعات أخرى.

سادسا المحاصيل الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط.

ازدهرت المنتجات الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط، حيث تركزت المحاصيل في السهول الساحلية، وواحات الداخل، وإقليمي طرابلس وبرقة. تنوعت المنتجات لتشمل الحبوب، والأشجار المثمرة، وصناعة الزيوت، وكانت مصدراً أساسياً للاستهلاك المحلي وتصدير الفائض.

يتصدرها محصولين اساسين من الحبوب هما: القمح والشعير.[70] وبفضل بساطته كان الشعير هو السائد في المناطق الأقل حظوة، وبما أنّ ثمنه يساوي نصف ثمن القمح، فقد كان يمثل العنصر الأساسي من عناصر التغذية الشعبية، وبفضل تربته السوداء، استحق سهل سوف الجين، اسم:– مطمورة طرابلس، ولابد الأسعار المعمول بها في تلك المنطقة كانت معتدلة على الدوام، سواء كانت السنة خصبة أم جدباء، ففي سنوات الرخاء كان يصاب فيه في بعض السنين.[71] للحبة مئة حبة، وأحيانا يقدر ما يصيبه سوف الجين في السنة بمقدار ما

يصاب في سنتين، لا تزال أرضه خصبة، تخصب فيها زراعة القمح والشعير بمقادير هائلة قد تتجاوز فيها الحبة مئة حبة .[72]

فقد كانت أرض طرابلس عديمة المثال في إصـــابة الزرع، ولا ندري أنّ على معمور الأرض مثلها في ذلك، وهذا مشهور معلوم.[73] ويبدو أنَّ تذبذب الإنتاج من هذا المحصول من سنة إلى أخرى، يعود إلى اعتمادهم على مياه الأمطار التي تغزر سنة، وتقل في أخرى.[74]

ومما يدل على اهتمام أهل ليبيا بإنتاج القمح والشـعير في بدايات العصـر الوسـيط، أنّ غالبية سـكانها على الأقل تقدير كانوا من المزارعين المرتبطين بفلاحة الأرض وغرسها، فيذكر الشماخي أنّ اجتماع أعيان قبائل طرابلس لمبايعة أبى الخطاب المعافري كان سرا، فقد جعلوا عدتهم في غرائر مملؤة تبنا.[75] بمعنى سيقان وأوراق الزرع من الشعير ما يدل على إنتاجه.

وليس أدل على كثرة إنتاج القمح والشعير مما نقله الشماخي عن أبي أيوب صنوا أبي الخطاب، قوله:– (إذ جمع زرعه في الاندر لدرسـها في أرضـه، كان يعلمه من بجربه فيأتي إليه لكرمه وسـخاءه، فضـلاً عما كان ينفقه على أهله).[76] لكثرته، كما يدل على وفرة الإنتاج من الحبوب، قول أبي يوسف النفوسي، لو تمادت الشدة عشرين سنه أو ثلاثين سنة، لم أبالي فيها لعيالي ولا لحيواني، لما أدخر لكل نوع مايليق به.[77]

هذا ويرتبط بعملية زراعة الحبوب في تلك الفترة عملية حصـادها، وفصـل حبوبها بالدرس في أمكنة تسـمى: الأندر (المندرة).[78] مستخدمين الدواب وعدداً من العمال.

ولكن هذا لا يعني وفرة في إنتاج الحبوب في كل السنوات، إذْ تشير المصادر إلى أوقات عصيبة مرّت بها البلاد، وعانى فيها الناس شطف العيش، منها، تلك السنة التي خرج فيها أبي الخطاب المعافري من طرابلس باتجاه القيروان لطرد قبيلة ورفجومة منها، فقيل أنه:(كان عام قحط وسنة عسيرة وأرض مجدبه، فخرج بمن معه، ...، فأمدهم الله بالجراد يتزودون منه).[79]

والي جانب إنتاج القمح والشـــعير أنتجت ليبيا خلال العصـــر الوســـيط كميات من القطاني في برقة، وتوكرة.[80] متمثلة في الفول والباقل، والعدس والبازلا، الجلبان.[81] وكذلك الذرة البيضاء، في زويله. [82]

وكما هو الشـأن الآن، فقد كانت الزياتين، في ليبيا خلال العصـر الوسـيط تمثل أهم ثروة في المناطق السـاحلية، فقد أجاد أهل البلاد غراسـة تلك الحاصـلات والإنتفاع بها، فتؤكد المصـادر الجغرافية اسـتمرار إنتاج الزيتون وانتشـار مزارعه حول بعض القرى والبلدان ومنها، مدينة لبدة، فقيل أنّ زيتها كان يسـتخرج في وقته.[83] بينما كانت مدينة طرابلس تحيط بها كثيرا من أشـــجار الزيتون على شـــكل غابات كثيفة، قريبة ألشـــبه بزيتون تونس.[84] فضـــلاً عن برقة التي كانت تتميز بكثرة زيتونها.[85] وكذلك شـــروس التي عرفت إنتاج زيتون عالي الجودة.[86]

يؤكد لنا الأنصـاري، أنّ شـجرة الزيتون كانت من أهم الحاصـلات الزراعية في جبل طرابلس وقراه.[87] بينما كان الجناوى، قد أشـار إلى كثرتها آنذاك بقوله:(أن كثرة أشـجار (الزيتون) وتقاربها حتى بدأت كأنها تعانق بعضها بعضا). [88]

فلا غرو إذاً أنّ يعتمد الناس في ليبيا خلال العصـر الوسـيط في حياتهم على إنتاج الأشـجار المثمرة، ومنها أشـجار الزيتون بإعتبارها العمود الفقري للزراعة، فروي أنه في اجناون، عين ماء كانت تسـقي اثني عشـرة ألف زيتونه.[89] حتى صـــارت مياهها مضـــرب الأمثال في كثرة غاباتها، فقيل في كل مكان يذهب الناس إلى المياه، أما بالنسبة لسكان مدينة اجناون فإنّ المياه هي التي تذهب إليهم.[90] فما بالك ببقية المدن والقرى الأخرى،

حيث يروى أنّ زيتون، قرية، تغرمين، كان مشـهورا هو الآخر، حيث كان الناس يتمنون رؤيته لمذاقه وطيب طعم وجمال منظره بل ولكثرته.[91]

يرتبط بهذه الشـــجرة، اســـتخراج الزيت من حب الزيتون الذي أقيمت له معاصـــر أشـــتغل فيها العبيد المجلوب من بلاد السودان.[92] فكانت هذه المعاصـر تبني في باطن الأرض، وهي معاصـر بدائية تسـتعمل من الخشب والطواحين الحجرية.[93] مازالت أثار بقاياها فتنشره في شرقي منطقة ترهونة.

وأشـار الشـماخي إلى الزيت والزيتون، في أكثر من موضـع.[94] ذا أهمية إنتاجيه هامه باعتباره متعدد الاستخدامات اليومية للسكان، لكن ليست كل القرى متكافئة في إنتاج هذا المحصول الزراعي، مثل، سرت، التي الجأ تجارها إلى عمل رقاق زيت منتفخة تحائلا على التجار لإظهار كثرة الزيت لديهم، حتى يحصـلونه بالسـعر الذي أرادوه.[95]

ومنذ العصـــور القديمة كانت واحات جنوب ليبيا مزدهرة، لذلك تردد ذكر التمر والنخيل كثيرا، خلال العصـر الوسـيط.[96] مما يدل على كثرة إنتاجه، وأهميته لسـكان فزان مثلا، إنه كان يسـاوي قيمة السـوق فدفعوا نصف عشرهم للحاكم، ما يعادله من التمر لغزارته لديهم.[97]

لقد أشـاد الجغرافيون العرب بهذا الإنتاج، الذي كان يزرع في جميع جهات البلاد، في شـكل قري كبيرة من النخيل، منها: زويلة، التي قال عنها اليعقوبى، أنها أرض النخيل.[98] وكذلك أوجلة التي كانت ذات نخيل عظيمة وغلات جســـيمة من التمر.[99] ويقارن ابن حوقل بين هذه التمور بقوله:- (إذ كانت تمور أوجلة أوســـع قسوبا وأفسح ناحية، فتمور ودان العذبة، وارطابهم أغزر وأكثر). [100] ويوضـح البكري تلك الكثرة بأنّ أفضـله نوع يسمى:- البرني.[101] نعتقد أنه لولا شـهرته لما ذكره البكري، ربما قصـده الإدريسـي أيضـا، عندما وصـفه بحلاوته وليونته وطيب مذاقه.[102] وكانت تحيط بمدينة طرابلس. أشـــجار التين والزيتون والنخيل، وصـــف رطبها بمنتهى الطيب. [103] بفضل شهرته، عملت منه أطباق كثيرة، كغذاء أساسي وشعبي.

هذا وقد امتدح ابن حوقل أشـــجار الفواكه في طرابلس، بقوله:(فكانت حول مدينة طرابلس، ...، الفواكه الطيبة اللذيذة والجيدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره، كالخوخ والفرسك والكمثرى اللذين لا شبيه لهما بمكان). [104] في حين كانت أراضـــي برقة معروفة، خصـــبة ونفيســـة كثيرة الفواكه والخيرات.[105] من أشـــجار الأترج والجوز والســفرجل، وأصـــناف أخرى من الفواكه.[106] كما أنتجوا كميات وافرة من العنب أو الكروم.[107] بأنواعه المختلفة من الأبيض والأحمر والأسود بخاصـة في بيوت مدينة طرابلس كزينة لبيوتهم.[108] ومنه استخرجوا الزبيب، وقرب مدينة سرت أيضا.[109]

كما انتشـرت أشـجار التين، بكثرة.[110] لاسـيما في جبل نفوسـة، ويعمل من التين شـرائح مثل الطوب، لذلك لاقت هذه الشـــجرة اهتماما كبيراً، فقد قيل أنّ أبا محمد عبيدة التلالي، قد غرس ثلاثمائة كرمه (تين) بيده، ويبدو أنـه كان من كبار المنتجين، ذلك أنّـه عندما وقع قحط أخذ ينفق على أهل بلده مدة طويلة، حتى قال لهم:(من أراد أنّ يأخذ نصـف صـاع لغذائه ونصـف صـاع لعشـائه من أي نوع شـاء من شـعير أو تمر أو تين). [111] وفي موضع آخر يُشار إلى جني محصول التين، قد بلغ حوالي ثلاثمائة مديا ومائة وخمسون وسقا.[112]

ويشـــار إلى أنّ أبا الربيع بن أبي هارون، قد أنتج في إحدى الســـنين نحو ثلاثمائة كيلوغرام من التين، انفق مئة على عياله، ومائة لتلاميذه، ومائة ثالثة لضـــيوفه، كما يروى.[113] وما يلفت النظر، جمل: بطانة التين، وقفة التين، و حارس التين، التي أوردتها المصادر.[114] تشير إلى قيمة إنتاجه، وكثرته.

وفي هذا السـياق تشـير المصـادر الجغرافية إلى غراسـة أشـجار التين في كل من:- صـبراته.[115] وفي طرابلس.[116] وفي برقة، حيث رأس التين المشهور.[117] وغيرها.

هذا ولا ندري إنّ كان سكان ليبيا خلال العصر الوسيط قد استفادوا من بعض الأشجار الغابية الكثيفة، مثل:– شجر العرعر في شعراء عريضة من أرض برقه.[118] شجر الأراك الكبيرة باجدابيا.[119]

وكذلك بعض النباتات الطبية، مثل:– الزعفران، في غريان، الذي كان يباع الرطل الواحد منه، ضعف ثمنه في تونس خلال العصر الوسيط،[120]

خاتمة البحث

خلص البحث الى النتائج الاتية:

للعوامل الجغرافية اثر على الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط من حيث تباين تضاريس البلاد من السهول الصالحة للزراعة الى الجبال وكثرة الرمال الصحراوية المعيقة لها.

تنوع ملكية الاراضي الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط كالأراضي المملوكة للدولة واراضي الوقف ثم اراضي القبائل، مع قلة الاراضي المملكة للأفراد

تنوع مصادر سقيا الزراعة في ليبيا خلال العصر الوسيط بين الامطار والمياه الجوفية، والعيون ، واختلاف وسائل تخزينها كالسدود والصهاريج والجوابي.

استخدام الادوات الزراعية المتوفرة في ليبيا خلال العصر الوسيط، كالفؤوس والمحاريث وفاعلية الاستفادة منها قي الزراعة

ووجود أنواع من التربة الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط، كالتربة الطينية الحمراء التي كانت الأفضل للزراعة، ثم التربة السوداء، وبعدها اتربة البيضاء.

كثرت المنتجات الزراعية في ليبيا خلال العصر الوسيط وتنوعها، عكست مدى حجم الانتاج الزراعي من قمح وشعير وزيت زيتون وتمور، وتوزعها على عدة مناطق من جغرافية ليبيا خلال العصر الوسيط، كجبل نفوسة في الغرب وزويلة في الجنوب، وسرت في الوسط، فضلا عن اقليم طرابلس.

الهوامش

1 ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م.ص210.

2 يسري الجوهري، جغرافية المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، والإسكندرية، 1981م، ص255.

3 جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جادالله الطلحي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، 2004م، ص19..

4 عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي دراسة اجتماعيه انتربولوجيه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1969م. ،ص13.ص15.ص23.

5 عبد العزيز شرف، جغرافية ليبيا،ص118–119

6 محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، المنشأة كيفية للنشر والتوزيع، طرابلس ، د، ت، ص24–25.

7 الطوير، تاريخ الزراعة في ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 1991م، ص9.

8 محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، المنشأة كيفية للنشر والتوزيع، طرابلس ، د، ت، ص24–25.

9 فتوح مصر وإخبارها، تحقيق، محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م. ص314، يقول:(اخبرنا ابن لهيعة أن عبدا لله بن سعد..، إنه كان يوضع بين يديه اكلوم من الورق فيقال للأفارقة، من ابن لكم هذا، قال، فجعل إنسان منهم يدور كالذي يلتمس الشيء، حتى وجدو زيتونة فجاء بها إليه، فقال : وكيف؟ قال : (أن الروم ليس عندهم زيتون، فكانوا يأتون فيشترون منا الزيت) .

10 ابن بصـــال، كتاب الفلاحة، ترجمة خوســيه ماريه ومحمد غريان، ســعد مولاي الحســن، تطوان، 1955م، ص39–41

11 السيد الحسيني، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، القاهرة، 1981م، ص11.

12 احســان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاســع الهجري، الناشــر، دار ليبيا، النشــر والتوزيع، بنغازي، 1962م. ص122.

13 عمر بن حمادي، بعض المنعرجات الهامة للملكية الزراعية بأفريقية، دراســـات تاريخيه، دمشـــق، 1993م، ع42–43، ص89.

14 امحمد الحسوني الحشاني، الوقف ودوره الحضاري في جبل نفوسه ما بين القرنين الرابع والسادس الهجرين نماذج مختارة، مجلة انوار البروق العلمية، نوفمبر 2023م، ص458.

15 جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، 45

16 الداودي، كتاب الأموال والمكاســب، في حوليات الجامعة التونســية للآداب، تونس، 1967م، ج1، ص84–100.

17 حبيب الجنحاني، دراســات في التاريخ الاقتصــادي والاجتماعي للمغرب الإســلامي، دار الغرب الإســلامي، بيروت، ط2، 1986م.

18 اليعقوبى، كتاب البلدان، ص102.

19 هشام جعيط تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني، هـــ / السابع والثامن م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 2008م. ص93..

20 البلدان فتوحها وأحكامها، ص209.

21 جناو بن فثي، أجوية، ص66.

22 ابن حوقل، صورة الأرض، ص70.

23 البغطوري محمد بن مقرن ، سيرة أهل نفوسة، مخطوط بمكتبة اللبارونية جربة تونس، و59–60.

24 الشـماخي، أبو العباس بن سـعيد بن عبدالواحد، كتاب السـير، تحقيق، احمد سـعيد السـيباي، وزارة الثقافة، مسقط، عمان، 1987م، ج1.، ص212

25 ابن ســلام الأباضــي، كتاب فيه بدء الإســلام وشــرائع الدين، تحقيق ســقارتز– وســالم بن يعقوب، فبأذان، ألمانيا، 1986مص 132. .

26 لمياء محمد شــرف الدين، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصــادية في القرن الخامس للإســلام، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 199م.ص129.

27 كتاب السير، ج1، ص153. ص210.

28 عوض عبدا لســلام، التاريخ الحضــاري في جبل نفوســة ، رســالة ماجســتير غير منشــورة جامعة القاهرة ، 2009م ص173.

29 البغطوري، سيرة أهل نفوسة، و122.

30 المصدر نفسه، و58، و97، الشماخي، كتاب السير، ج1، ص151، ص176.

31 ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.، ص105.

32 اليعقوبى، كتاب البلدان، ص101.

33 صالح المزيني، ليبيا منذ الفتح، ص206.

34 ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص294.

35 محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية ليبيا، ص422.

36 كتاب الســـير، ج1، ص149، فوقع عليهم مطر غزير، ص234، ذكر ليلة مطيرة أي شـــديدة. ص218. ص251. ص238.

37 البكري، أبو عبدالله، كتاب المسـالك والممالك، تحقيق، أذريان فان ليتوفن واندري فيري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1992م، ج2.، ص655.

38 هاينز، تاريخ أثار طرابلس، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، د. ت.ص63.

39 جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب، عبدا لحفيظ الملیار واحمد البازوي، دار الفرجاني، طرابلس 1972م. ص47.

40 صـالح المزيني، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية لمصـر، منشـورات جامعة قاري ونس، بنغازي، ط2، 1994م.ص203–204. الشماخي، كتاب السير، ج1، ص141.

42 الدرجيني، أبو العباس احمد، كتاب طبقات المشـــائخ المغرب، حققه وقام بطبعه، إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسطنطينية، الجزائر، د. ت، ج2.، ص309.

42 كتاب السير، ج2، ص189.

43 كتاب السير، ج1، ص163.

44 اليعقوبى، كتاب البلدان، ص101.

45 التيجاني، أبو عبدالله محمد بن احمد، رحلة التيجاني، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، د.ت ، ص317.

46 البكري، كتاب المسالك والممالك،ج2، ص655،

47 الطـاهر احمد الزاوي، تـاريخ الفتح العربي في ليبيـا، دار المدار الإســـلامي، بيروت، دار الكتب الوفيـة، بنغازي، توزيع دار أويا للنشر، طرابلس، ط4، 2003م. ص52.

48 رحلة التيجاني، ص246.

49 وجدي خرج، خطط البربر في مدن المغرب الكبرى وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية، 50– 296هـ / 670–908م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1998م. ص160.

50عمروس بن فتح أبي حفص، كتاب أصـــول الدينونة الصـــافية، تحقيق، حاج احمد بن حمو كروم، مراجعة مصطفى محمد شريف ومحمد بن موسى، وزارة الثقافة، مسقط، 1999م.50، ص98، ها 77.

51 وجدي فرج، خطط البربر، ص160.

52 جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية، ص257، وهي القنوات تحت الأرضية كما يرى .

53 ياقوت، معجم البلدان، مج4، ص187،، جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية، ص436.

54 أبو العباس الفرسطائي، القسمة وأصول الأرض، ص239–ص340، ص258، ص261.

55 ابن بصال، كتاب الفلاحة، ص112، البغطوري، سيرة أهل نفوسة، و60، يعزق فدانه.

56 كونتو، الحضـــارة الفينيقية، ترجمة محمد الهادي شـــعيرة، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص342.

57 كتاب السير، ج1، ص219.

58 جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية، ص453، يذكر استعمال الجاموس أيضا.

59 جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد المزالي، والبشير بن سلامة، لدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1985م، ج1.، ص207، الشماخي كتاب السير، ج1، ص210، درس وحمل الحب على جمله، ص115، جمع زرعه للدرس.

60 وجدي فرج، خطط البربر، ص162.

61 الشماخي كتاب السير، ج1، ص221، ذكر ابنتين تطحنان وأخذتا في الطحن.

62 الدرجيني، كتاب طبقات المشائخ، ج1، ص95، قصاع كبار ملؤها زيتا. الشماخي، كتاب السير، ج1، ص220، يحفظ فيها إنتاج التين.

63 البغطوري، سيرة أهل نفوسه، و89، يؤكد البكري استخدام الزقاق لبيع الزيت في حواتيت سرت، كتاب الممالك، ج2، ص651.

64 اليعقوبى، كتاب البلدان، 100، في مرج واسع ذات تربه حمراء، ابن حوقل، صورة الأرض، ص69.

65 ابن العوام، كتاب الفلاحة، ج1، ص55.

66 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص220.

67 عبد العزيز شرف، جغرافية ليبيا، ص39.

68 ديبوا، جغرافية جبل نفوسة، ص36.

69 ابو الخير، كتاب الفلاحة، المطبعة الجديدة، فاس، 357هـ، ص4.

70 جناو بن فثي، أجوبة، في شكل فتاوى دينية، ص60، عمروس، كتاب أصوله الدينونة الصافية، ص97، الشماخي، كتاب السير، ج1، ص177، الشعير، ص180، القمح.

71 البكري، كتاب الممالك، ج2، ص655.

72 صالح المزيني، ليبيا منذ الفتح العربي، ص202.

73 الإدريسي، محمد عبدا لعزيز شريف الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ج1، ص297–298.

74 صالح المزيني، ليبيا منذ الفتح العربي، ص202.

75 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص114.

76 كتاب السير، ج1، ص240.

77 الشماخي، كتاب السير، ج2، ص331.

78 هو مكان مرتفع قليل الحجر، بعيدا عن الشجر حتى لا تحجب الريح، ولا يميل العمال إلى الجلوس في ظلها كي لا يتوقف الدرس، أبو الخير، كتاب الفلاحة، ص98، أبو زكريا الورجلاني، كتاب السيرة وأخبار الأئمة، ص188.

79 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص116، الدرجيني، كتاب طبقات، ج1، ص22.

80 الوسياني، سير الوسياني، و12.

81 الإدريسي، نزهة، ص311. ص315.

82 اليعقوبي، كتاب البلدان، ص103.

83 الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص308.

84 التيجاني، رحلته، ص214–215.

85 صالح المزيني، ليبيا منذ الفتح العربي، ص200.

86 البكري، كتاب المسالك، ج2، ص656، الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217.
87 لأنصاري، احمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، الناشرون، دارف المحدودة، لندن، المملكة المتحدة، 1984م، ص23.
88 الجناوى، كتاب الوضع، تعليق إبراهيم إطلاي، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.ت، ص10.
89 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص163.
90 ديبوا، جغرافية جبل نفوسة، ص214.
91 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص221.
92 البغطوري، سيرة أهل نفوسه، و58، و92.
93 عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي، ص67.
94 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص147، ص202، ص219.
95 البكري، كتاب المسالك والممالك، ج2، ص651.
96 البغطوري، سيرة أهل نفوسه، و47. و107. الشماخي، كتاب السير، ج1، ص214.
97 جناو بن فتي، أجوبة علماء فزان، ، تحقيق، عمر خاليفة الناي، وإبراهيم طلاي خردايه، الجزائر، د. ت.ص66. أشار إلى دنانير تمر.
98 كتاب البلدان، ص100.
99 ابن حوقل، صورة الأرض، ص70.
100 المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
101 كتاب المسالك والممالك، ج2، ص659، وهي ثمرة خضراء جدا، وجدي فرج، خطط البربر، ص163.
102 كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص312.
103 اليعقوبى، كتاب البلدان، ص104، التيجاني، رحلة التيجاني، ص214.
104 صورة الأرض، ص71.
105 المقدسي، شمس الدين محمد بن احمد ن أبى بكر البناء، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه، محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.، ص181.
106 البكري، كتاب المسالك والممالك، ج2، ص650.
107 الكروم الاسم العربي لمعنى العنب، أبو الخير، عمدة الطبيب، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص435.
108 التيجاني، رحلته، ص246.
109 ابن حوقل، صورة الأرض، ص70، لهم أعناب وفواكه.
110 عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي، ص26.
111 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص253.
112 المصدر نفسه، ص236.
113 البغطوري، سيرة أهل نفوسة، و14.
114 الشماخي، كتاب السير، ج1، ص220. البغطوري، سيرة أهل نفوسه، و69.و112. أشار إلى تين احمر ناضجا.
115 المقدسي، أحسن التقاسيم، ص182.

116 الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ص298.

117 ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه، إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.، ص147.

119 البكري، كتاب المسالك، ج2، ص650.

120 أبو الخير، عمدة الطبيب، ج1، ص277. ليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ج2، ص106.فال انه اذا كان في تونس يباع بعشرة دنانير، فان زعفران غريان يساوي خمسة عشرة دينار.